

المقاربة الاسلامية لسوسيولوجية الجسد

The Islamic Approach to the Sociology of the Body

مراد بوفولة *

مخبر الانتماء : مجتمع المدينة

مؤسسة الانتماء البلد: عبد الحميد مهري قسنطينة 2

mouradboufoula@gmail.com

تاريخ القبول : 2025-04-30

تاريخ الاستلام: 2025-02-16

ملخص:

شكل الجسد مادة دسمة للنظر والتأمل الفلسفي منذ الفلسفة اليونانية، ومن بعدها الدراسات الطبية باعتباره معطى بيولوجي، ولكن في العصر الحديث بدأ الاهتمام كمعطى اجتماعي ولهذا جاءت هذه الورقة العلمية لتناول موضوع الجسد كمعطى ثقافي و اجتماعي في ضوء المقاربة الاسلامية، حيث تهدف الى تحليل مفهوم الجسد في المنظور السوسيودي، واستكشاف العلاقة بين الجسد والوعي الثقافي والاجتماعي في ضوء القيم الاسلامية، والنصوص الشرعية من أجل فهم أبعاد الهوية الجسدية والاجتماعية في الإسلام، حيث اعتمدت الورقة على المنهج الاستنباطي من أجل الوصول الى الحقيقة المعرفية باعتبار هذه الدراسة كيفية وتوصلت في النهاية أن المقاربة الاسلامية اهتمت بالجسد ضمن ثنائيات اجتماعية تعطي اهتماما به باعتباره كيان معرفي ثقافي واجتماعي يحمل مجموعة من القيم الموجهة للفرد

الكلمات المفتاحية: الجسد: المقاربة الاسلامية: الكيان المعرفي: الكيان الثقافي: الكيان الاجتماعي.

Abstract:

The Body as a Subject of Reflection and Philosophical Inquiry The human body has long been a rich subject for philosophical contemplation, starting with Greek philosophy and later in medical studies, where it was considered a biological entity. However, in modern times, attention has shifted to the body as a social construct. This scientific paper addresses the topic of the body as a cultural and social phenomenon in light of the Islamic perspective. It aims to analyze the concept of the body from a socio-religious standpoint and explore the relationship between the body and cultural and social awareness within the framework of Islamic values and scriptural texts. The study seeks to understand the dimensions of bodily and social identity in Islam. The paper employs a deductive methodology to uncover epistemological truths, considering this as a qualitative study. Ultimately, it concludes that the Islamic perspective pays significant attention to the body within social dualities, recognizing it as an epistemological, cultural, and social entity that embodies a set of values guiding the individual.

Keywords: body; Islamic perspective; epistemological entity; cultural entity; social entity.

مقدمة:

تُعنى سوسيولوجيا الجسد بدراسة العلاقة المعقدة بين الأفراد وأجسادهم من جهة وبينها وبين العلاقات الاجتماعية، وكيف تتأثر هذه العلاقة بالسياقات الاجتماعية والثقافية والقيمية التي يعيش فيها الأفراد. يُنظر إلى الجسد في هذا الحقل ليس فقط ككيان مادي بيولوجي يحتل حيزاً مكانياً، بل يتم الاهتمام به أيضاً كحامل لمعانٍ ثقافية ورمزا للهوية الفردية والجماعية والاجتماعية.

فالجسد يعبر عن الذات، كما يعكس التفاعل مع البيئة المحيطة من خلال معايير تتعلق بالمظهر، النظافة، السلوك، والصحة، والتي تتشكل عبر أنظمة قيمية وسياقات اجتماعية مختلفة حسب بورديو وغيدنز فالجسد هو نتيجة لبناء اجتماعي.

في المقاربة الإسلامية، يُعد الجسد محوراً هاماً حيث يتم التعامل معه وفق منظومة من القيم الدينية التي تستهدف تحقيق التوازن بين الروح والمادة، وحماية الكرامة الإنسانية؛ هذه القيم تشمل مفاهيم الحياء، الستر، الصحة، والجمال، التي ترتبط بأبعاد أخلاقية واجتماعية ودينية عميقة. فالقيم الدينية لا تسهم فقط في تنظيم السلوك الجسدي، بل تساهم أيضاً في تشكيل الهوية الاجتماعية وضمان استقرار العلاقات داخل المجتمع.

تأتي الإشارة في النصوص القرآنية والأحاديث النبوية لتبرز أبعاداً رمزية وسوسيودينية تتعلق بالوعي بالجسد والهوية، حيث تُلقى الضوء على العلاقة بين الإنسان وجسده والمجتمع ضمن سياق القيم الدينية.

1. الاشكالية:

عرف مفهوم الجسد مطارحات فكرية منذ القدم، ولكن كثيراً ما كان ينظر كياناً مادياً تمارس عليه كل أساليب الهيمنة، ولكن في ظل التحولات السريعة في مجال المعرفة والسياقات الثقافية والاجتماعية الحديثة، لم يعد الجسد مجرد كيان مادي يمارس من خلاله الإنسان أنشطته اليومية، بل أصبح وسيطاً مركزياً يربط الفرد بعالمه المحسوس، وكياناً أولياً له مجموعة من الدلالات الثقافية والمعرفية، ومجموعة من الوظائف، وميداناً للتداخل الرمزي والمادي.

يتجلى هذا التحول في بروز مفاهيم مثل "فكر الجسد" و"الوعي الجسدي"، وكذلك اختراقه مجموعة من المباحث والتخصصات المعرفية مثل العلوم الطبية، الاجتماعية، الاقتصادية والأدبية، مما يعكس تطوراً في إدراك الجسد كظاهرة معرفية، ثقافية واجتماعية.

كما أن الجسد يُظهر تبايناً في دوره بين التعبير عن الهوية الفردية وبين الخضوع لقوى سلطة القيم المهيمنة اجتماعياً، سواء من خلال معايير الحسن والجمال والتسليع في المجتمع الرأسمالي أو عبر

استعماله كأداة للمقاومة والهيمنة في السياقات السياسية كالإضراب عن الطعام والتعذيب والسجن، وهذا ما عبر عنه بورديو وغيدنز بالبناء الاجتماعي للجسد وفوكو في حديثه عن السلطة والجسد تنظر المقاربة الإسلامية إلى الجسد باعتباره أمانة وهبة إلهية منحها للإنسان، ولهذا يتعين حفظها ورعايتها، ومن جهة أخرى فهو وسيلة لتحقيق غاية وجود الإنسان من اعمار الأرض وعبادة الله، فالعبادات في الإسلام سواء الشعائرية منها مثل الصلاة، الصوم، والحج كلها تعتمد على الجسد، أو غير الشعائرية مثل العمل والتكافل الاجتماعي كلها تعتمد على الجسد.

ومعظم عبادات الإسلام تعتمد على الطهارة الجسدية والنشاط الجسدي، وبالتالي يحدث التكامل الروحي والمادي، ويرفض تسليع الجسد والتعامل معه بعيد عن القيم الأخلاقية والجسدية، وبالتالي فهو يشكل رؤية مغايرة للمقاربات الغربية .

هذا الاختلاف في الطروحات بين المقاربة الإسلامية والمقاربات الغربية حول طبيعة الرؤية للجسد، باعتباره مكون معرفي، ثقافي واجتماعي يلعب دور مهم في تشكيل الهويات الفردية والجماعية ، ويطرح التساؤل التالي:

كيف تنظر المقاربة الإسلامية للعلاقة بين الجسد والروح من خلال النصوص الشرعية؟

1.1 تساؤلات الدراسة:

- كيف يتم إعادة قراءة موقع الجسد في ضوء التعاليم الإسلامية من خلال النصوص الشرعية؟
- وكيف تؤثر القيم الدينية في تعزيز استقلالية الإنسان وحفظ كرامته من الاستغلال المادي أو الرمزي؟.

- كيف يمكن فهم الجسد كظاهرة معرفية وسوسيولوجية تعكس التفاعل بين الفرد والمجتمع؟
- كيف تُعيد التحولات الثقافية والاجتماعية الحديثة تشكيل الأدوار المعرفية والاجتماعية للجسد بين الاستقلالية والخضوع لقوى الهيمنة؟

1.2 أهداف الدراسة

تهدف الورقة إلى:

- تحليل مفهوم الجسد في المنظور السوسيوديني،
- استكشاف العلاقة بين العري والوعي الجسدي في ضوء القيم الإسلامية،
- فهم أبعاد الهوية الجسدية والاجتماعية.

1. مفاهيم الدراسة

1.1 مفهوم الجسد

الجسد في اللغة العربية عرفه الفراهيدي بـ" الجسد للإنسان، ولا لغير الإنسان جسداً من خلق الأرض، وكلُّ خُلُقٍ لا يأكلُ ولا يشربُ من نحو الملائكة والجنِّ مما يعقل فهو جسد" (الخليل، 2003)، أما ابن فارس فيعرفه " جسد الجيم والسين والذال يدلُّ على تجمُّع الشيء واشتداده، من ذلك جسد الإنسان" (أحمد، 1972)، فالفراهيد ركز في تعريفه على منظور وظيفي وأخلاقي معطيا له بعد أنطولوجيا و لذلك ميز بين جسد في الأرض وهو الانسان فقط وجسد في السماء للملائكة والجن بينما ركز ابن فارس على البعد اللغوي لهذا ركز على جذوره اللغوية والصفة الفيزيائية له الصلابة والتجمع.

كما عرفه الجرجاني معرفا بالألف واللام " الجسد كل روح تمثّل بتصرُّف الخيال المنفصل، وظهر في جسم ناري، كالجن، أو نوري كالأرواح الملكية والانسانية، حيث تعطي قوتهم الذاتية الخلع واللبس فلا يحصرهم حبس البرازخ ، أم الجسم فهو جوهر قابل للأبعاد الثلاثة" (الشريف، 2013) ، وبهذا التعريف يتجاوز الجرجاني المفهوم التقليدي الشائع الذي ينظر للجسد ككيان مادي، ويعطي له بعد فلسفي عندما يعتبره تمثيل أو تجسيد لروح، ويتشكل عبر الخيال المنفصل ليعطي له تصور صوفي حيث يعتبره وسيطا ماديا لتمثيل الروح، وهو نوعان ناري كالجن ، ونوري كالملائكة والانسان، كما يشير إلى قدرة هذه الأرواح المتمثلة على اتخاذ أشكال مادية أو التخلي عنها، بحسب حاجتها أو ظروفها، و أن هذه الأجساد لا غير خاضعة للقيود المكانية المادية أو الزمانية، فهي تتجاوز الحدود بين العالمان (المادي والروحاني)، ولهذا هو يفرق بين الجسد والجسم الذي يعتبره كيان مادي يتسم بالأبعاد الثلاثة

2.1 مفهوم المقاربة الإسلامية

منهجية فكرية ذات رؤية شمولية تستند إلى المصادر الأساسية للإسلام، القرآن الكريم والسنة النبوية مع مراعاة الاجتهاد الفكري الذي يتفاعل مع الواقع وتحدياته، وهو مدخل منهجي يقوم حسب مراد زعيبي على: "مجموعة القواعد المنهجية الاسترشادية، ونموذج تصوري عن العالم والإنسان والمجتمع والتاريخ، ومراحل لتحليل المجتمع وظواهره، ونسق للتفسير" (مراد، علم الاجتماع والمرجعية الإسلامية، 2011) ، وتعتمد على القيم والمبادئ المستمدة من الإسلام لفهم الظواهر وتحليلها ومعالجتها.

فالنموذج الارشادي العلمي لابد أن يكون نابع من ثقافة المجتمع المسلم لأنها هي روحه " أن البحث المنتج عن المعرفة لا بد أن تكون وراءه روح تدفعه، وهذه الروح لا يمكن أن تُستعار أو تستورد، وإنّما تتولد عن تصور واضح عن الانسان والكون والحقيقة، ومن طبيعة هذا التصور أنه لا يمكن أن يستورد أو يقلد ولا تُنتج محاولة الاستيراد إلا صورا شائهة منه، في

حين أن الدين الإسلامي يتميز بمعالم واضحة لهذا التصور، فضلاً عن أنها معالم متوافقة مع متطلبات الدافعية العلمية" (يمنى، 2017)

2- المقاربة الغربية لسوسيولوجيا الجسد:

لم يكن الحديث عن الجسد عند الآباء المؤسسين للسوسيولوجيا إلا عرضاً ولم يكن له اهتمام خاص في دراساتهم ومقاربتهم النظرية، في السنوات الأخيرة تنعى الاهتمام بالجسد باعتباره يمثل موضوع خصبا للدراسات والأبحاث السوسيولوجية، ومع تنامي اهتمام الأفراد بأجسادهم ككيانات ثقافية واجتماعية عند أصحاب الفن والرياضة" طراً أيضاً تصاعد مكثف على اهتمام الجمهور بالجسد، هكذا نجد الصحف والمجلات والتلفزيون تعج بمواد عن صورة الجسد، والجراحة التجميلية وكيفية جعل الجسد يبدو فنيا ومؤثراً، وفاتنا، في حين أصبحت ميزانية صناعة إنقاص الوزن والحفاظ على الرشاقة تعد بملايين الدولارات" (كرس، 2009)، بهذا أصبح يمثل الجسد موضوع دسم للتحليل الأكاديمي في مختلف التخصصات العلمية خاصة التي لها تقاطعات مع علم الاجتماع، مثل التاريخ والأنثروبولوجيا.

1.2. الجسد في الدراسات المؤسسة لعلم الاجتماع

كان الآباء المؤسسين للسوسيولوجية يرون أن موضوع الجسد معطى بيولوجي فيزيقي وليس سوسيولوجي، وعلى رأسهم إميل دوركايم في فرنسا وماكس فيبر في ألمانيا؛ ولهذا كان حديثهم عنه ضمني حسب لوبروتون، وكان الموضوع الحاضر في الفكر الغربي، حيث "لم يكن الجسد كموضوع معرفة سوسيولوجية يحظى بمكانة محورية حتى حدود الستينيات من القرن الماضي، بل على العكس من ذلك فقد كان حضوره لا يتجاوز الحضور المضمحل الافتراضي، أو كما يقول عالم الاجتماع الفرنسي جون ميشيل بيرتلوت (1945-2006) كان الجسد مادة سوسيولوجية خافتة، وبالرغم من أن الجسد كان يطرح إشكاليات كبرى في اليومي والواقعي وكذلك الطبي، لكن ظل مسكوتاً عنه ولم يلق حقه من البحث والتحليل في السوسيولوجيا الكلاسيكية فالجسد كان الحاضر الغائب في تلك الفترة" (خديجة، 2013)

2.2. الجسد في الدراسات السوسيولوجية الحديثة

أما مفهوم الجسد في السوسيولوجيا الحديثة صبح يتحدد انطلاقاً من واقعيتين أساسيتين :

➤ **الأولى:** واقعة اجتماعية بمعنى أن الجسد هو منتج اجتماعي بامتياز؛ أي أن علم الاجتماع ينظر إلى الجسد على أنه منتج اجتماعي يتشكل بالقيم والمعايير الاجتماعية السائدة عن الجسد.

➤ **الثانية:** يُعد الجسد واقعة أنثروبولوجية بالنظر إلى ارتباطه الوثيق بحياة الإنسان بصفة عامة؛ إذ يتحدد في مستواه الأول انطلاقاً من معطيات بيولوجية وعضوية وفيزيائية، كالبنية الجينية، والخصائص العضلية، ووظائف الأعضاء. غير أن هذا التحديد الطبيعي لا يلغي البُعد الاجتماعي للجسد، باعتباره منتجاً ثقافياً تُعيد المجتمعات تشكيله وتمثله وفقاً لقيمها ورموزها. فالجسد، من منظور أنثروبولوجي، يُعد محوراً أساسياً في تجربة الإنسان داخل العالم، ولا يمكن عزله عن السياق الثقافي والاجتماعي الذي يُعبر من خلاله. وبذلك، لا يُنظر إلى الجسد كمجرد كيان طبيعي، بل كمدخل لفهم البنية الثقافية للمجتمعات، إذ إن حتى الجوانب البيولوجية تُفسَّر وتُؤطَّر اجتماعياً، مما يُبرز تداخل البيولوجي بالاجتماعي في تحديد معالم الجسد.

كما أن الجسد حسب كرس شلنج أصبح " مورداً شخصياً ورمزاً اجتماعياً يعرف ترويضاً واهتماماً، وأصبح مشروعاً يترجم عن هوية الشخص الذاتية" (كرس، 2009) وفي كثير من الأحيان يعبر عن الهوية الحضارية والاجتماعية للفرد والجماعة والمجتمع

هذا الاهتمام بالجسد يعبر عنه دافيد لوبروتون أحد المهتمين بالدراسات السوسيولوجية والأنثروبولوجية الجسدية بأنه راجع لـ: "تغير الوضعية الاعتبارية للجسد بشكل عميق في مجتمعاتنا منذ نهاية الثمانينيات. فهو لم يعد المجال المخصوص للشخص، وإنما أحد مكوناته ومقترحاً يلزم استعادته، ولم يعد الجذر الهوياتي للفرد. لقد تحول الجسد إلى مادة أولية، ولم يعد له قيمة أنطولوجية وإنما ظرفية. إن تبضيع الجسد، وتشكيله لم يعد يتم عبر مبحث يتطلب الصبر، والأناة، ومعرفة الذات، وإنما عبر فعل أكثر مباشرة. عديدة هي الإجراءات الخارجية للتغير التام للمظهر، من أنظمة غذائية، وأوشام، وثقوب piercings، وتنبيت، وجراحة تجميلية، وزراعة الشعر، وغير ذلك" (الزاهي، 2024).

3. المقاربة الإسلامية للجسد

الاسلام أعطى للجسد كيان مركزي في حياة الانسان، وابتعد عن المنظورات المادية التي كانت تنظر إليه كسلعة ترويجية، بل هو وسيط بين الروح والعالم الخارجي المحيط بالإنسان، ليحقق الغايات الروحية والاجتماعية.

التصورات المحوية للجسد التي تميز النظرة الإسلامية تتمثل في مجموعة من الثنائيات يمكن حصرها كالتالي:

1.3. الجسد المستور والجسد العاري

1.1.3 الجسد المستور

هو جسد يراعى الأحكام الشرعية التي تضبط اللباس الساتر الذي يحقق قيم الحياء والعفة قال تعالى: "يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير" (الأعراف: 26).

الستر في حد ذاته قيمة اجتماعية ودينية، حيث يجمع بين البعد الروحي الذي التقوى والحياء، والبعد الاجتماعي الذي يرسخ معايير الاحترام والانسجام الذي يقوي الروابط الاجتماعية، فهو ليس مجرد سلوك فردي، بل هو جزء من البناء والتنظيم للعلاقات الانسانية، مما يجعله أحد المبادئ الأساسية في تشكيل الهوية الفردية والجماعية. اللباس هو جزء من الهوية الفردية والجماعية ويعبر عن الانتماء الثقافي والديني، فحسب جورج سيميل اللباس ليس مجرد حاجة وظيفية أو تلبية لإشباع حاجة إنسانية، بل هو أداة تعكس تمثلات المجتمع لواقعه الثقافي وعاداته الأصيلة (georg, 1957).

2.1.3 الجسد العاري

هو جسد لا يلتزم بمعايير الستر المنصوص في الأحكام الشرعية للستر، ويُفرض في إظهار الجسد كسلعة ترويجية من خلال العري ويخالف به القيم مثل قيمة الحياء التي هي شعبة من شعب الايمان وعن أبي هريرة: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ -أَوْ: بِضْعٌ وَسِتُّونَ- شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَذْنَاهَا: إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ "متفقٌ عَلَيْهِ (أبوزكريا، 1998).

ولأهمية الستر وفضاعة العري كان أول درس تعلمه آدم وحواء بعد الأسماء التي علمه إياها الله عز وجل، ذلك عندما خالف أمره، هو الستر قال تعالى: "فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ" (الأعراف: 22)، هذه الآية تتناول أحد المشاهد المحورية في قصة سيدنا آدم وحواء، وهي لحظة وقوعهما في الغواية من إبليس، وما تبع ذلك من آثار على جسديهما وسلوكهما. يمكن تحليل الآية ضمن مقاربة سوسيولوجية للجسد في السياق الإسلامي:

أ- الجسد كأداة للتعبير عن الفطرة الإنسانية:

الغواية أدت إلى كشف عورتي آدم وحواء، فسارعا إلى سترها، مما يعكس أن الحياء مرتبط بفطرة الإنسان؛ كما أن بروز العورات كان مؤشراً مادياً ناتج لمخالفة الأمر الإلهي، مما يُظهر العلاقة بين الجسد والقيم الأخلاقية، والتي تربطهما ثنائية العري والستر.

ب -الفطرة الانسانية:

إن استقرار المجتمع تحافظ عليه منظومة القيم النابعة من الفطرة السليمة، ومن تجليات هذه الفطرة خلق الستر والحياء اللذان يُسهمان في تأسيس منظومة الضبط الاجتماعي المبنية على أساس الالتزام الأخلاقي لا الالتزام القانوني والتي تساهم على تحقيق التوازن النفسي للأفراد وتماسك البنى الاجتماعية، فالفطرة هي " من أعظم الميزات التي وهبها الخالق للإنسان، وهي مبنية على مسلمات البداهة التي فطر الله الناس عليها، كاليقين الجازم بوجود الله، والتمييز بين الخير والشر، والنافع والضار، وما إلى ذلك مما يشكل عاملاً مشتركاً بين جميع الناس، والذي أشار إليه الغزالي بالحس المشترك وأحمد زكي بالرأي الباده المشترك وهي مصدر أولي وأساسي، ويمثل الحد الأدنى من المعرفة التي لا يمكن للإنسان أن يكون إنساناً من دونها، ولذا فنحن نجدها حتى عند المجانين أو فاقد الحواس كلها أو بعضها" (مراد، علم الاجتماع -رؤية نقدية -، 2004)؛ لهذا تحليل هذه المفهوم من منظور سوسيوديني يوضح أهمية ربط الفطرة بالقيم الاجتماعية كوسيلة للتعامل مع تحديات العصر وحماية الهوية المجتمعية.

قال تعالى في سورة الروم:

"فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" الروم: 30.

يقول سيد قطب في هذا "وبهذا يربط الله بين فطرة النفس البشرية وطبيعة هذا الدين ؛ وكلاهما من صنع الله ؛ وكلاهما موافق لناموس الوجود ؛ وكلاهما متناسق مع الآخر في طبيعته واتجاهه . والله الذي خلق القلب البشري هو الذي أنزل إليه هذا الدين ليحكمه ويصرفه ويطب له من المرض ويقومه من الانحراف . وهو أعلم بمن خلق وهو اللطيف الخبير ، والفطرة ثابتة والدين ثابت: (لا تبديل لخلق الله) فإذا انحرفت النفوس عن الفطرة لم يردّها إليها إلا هذا الدين المتناسق مع الفطرة . فطرة البشر وفطرة الوجود"

ج. الفطرة الإنسانية كنظام قيم متأصل:

- الفطرة تشير إلى المنظومة الأخلاقية والنفسية التي جُبل عليها الإنسان منذ خلقه، وتمثل الميل الطبيعي إلى نوازع الخير وكل القيم الإنسانية المشتركة بين البشر وهذا ما وضحه ابن طفيل في قصة حي بن يقضان.
- تبدو تجليات الفطرة الإنسانية في فعل آدم وحواء عندما سارعا إلى ستر عوراتهما، فالستر قيمة اجتماعية عرفتة كل المجتمعات القديمة في أوج حضارتها، وهو ميل طبيعي وفطري من أجل حفظ الكرامة الإنسانية.
- الحياء قيمة اجتماعية أخلاقية يرتبط اجتماعيًا بالعلاقات الاجتماعية النتيجة عن التفاعل الإنساني، حيث يؤدي دورا مهما في فرض الاحترام المتبادل بين الأفراد في تفاعلاتهم خلال حياتهم اليومية، ويساهم في ضبط واستمرار شبكة العلاقات الاجتماعية.
- في الفكر الغربي تم التفريق بين الفطرة والغريزة حيث تم ربط الفطرة بالروح والغريزة بالجسد وذلك منذ الفكر الأرسطي إلى الفكر الديكارتي و الكانطي حيث كان كل منهم يرى أن الروح تمثل الفطرة والنقاء الإنساني بينما الجسد يمثل الغريزة "كلا الرؤيتين تشتركان في هذه الناحية، وهي أنهما تقولان إنَّ النسبة بين الروح والبدن (وتبعاً لذلك: النسبة بين الفطرة والغريزة)، تكون على نحو التركيب الانضمامي (دون التركيب الاتحادي)، وحيث يسقطون من الناحية المبنائية في نوع من الثنائية، فإنهم لا يجدون بداً من إلغاء واحد من هذين البُعدين لحساب الآخر" (سوزنجي، 2022)، وهذا يعبر عن وجود أزمة فكرية في بعض التصورات حول العلاقة بين الروح والجسد، أو الفطرة والغريزة فبدل من الحديث عن التكامل بينهما تنزلق هذه التصورات إلى الثنائية، مما يجبرها في النهاية على التضحية بأحد العنصرين، الحل قد يكمن في بناء نموذج تكاملي يراعي تفاعل الجانبين بدلاً من إقصاء أحدهما.

د. الستركامتداد للفطرة:

- يشير قول الله تعالى "لا تبدل لخلق الله" إلا أن هذا الكون يسير عبر سنن كونية ثابتة والفطرة تمثل إطاراً ثابتاً ومطلقاً للأخلاق، يعكس منظومة القيم الأساسية التي تؤسس للبناء الاجتماعي وتدعم الاستقرار الاجتماعي.

➤ **الستر في المقاربة الإسلامية** ليس مجرد مظهر مادي فقط، بل هو تعبير عن احترام الإنسان لنفسه وللآخرين، وهو ما ينعكس في السلوكيات الاجتماعية التي تركز مفهوم الحياء.

المجتمعات التي تحافظ على قيم الستر تُظهر احترامًا للفطرة، مما يعزز الثقة الاجتماعية والاستقرار الأخلاقي.

كما أن اللباس في الفكر السوسيولوجي الغربي يعبر عن عملية البناء الاجتماعي للجسد وهذا ما ركز عليه بيير بورديو و أنتوني غيدنز، إن مفهوم الجسد في السوسيولوجيا المعاصرة أصبح يتحدد انطلاقاً من واقعيتين أساسيتين: الأولى واقعة اجتماعية بمعنى أن الجسد هو منتج اجتماعي بامتياز: أي إن "علم الاجتماع ينظر إلى الجسد على أنه منتج اجتماعي يتشكل بالقيم والمعايير الاجتماعية السائدة عن الجسد"

هـ. الحياء كمحدد اجتماعي للسلوك:

➤ **الحياء**، وهو جزء من الفطرة، يوجه السلوك البشري ضمن حدود أخلاقية تحافظ على تماسك المجتمع، باعتباره صفة أصيلة ترافق جميع أفعال الإنسان، أي أنه يعبر عن الفطرة الطبيعية عنده.

➤ غياب الحياء يؤدي إلى ظهور سلوكيات تخالف القيم الفطرية، مما قد يؤدي إلى مشكلات اجتماعية مثل التحرش أو التعدي على خصوصية الآخرين.

• على المستوى المجتمعي، الحياء يساهم في بناء ثقافة قائمة على الاحترام المتبادل والحفاظ على القيم الأخلاقية.

الأبعاد السوسيولوجية للفطرة والستر:

➤ **الاستقرار الاجتماعي:** الفطرة التي عبارة عن مجموعة من القيم الروحية المشتركة بين بني البشر قبل ادخال عليها القيم الاجتماعية، تعمل على حماية المجتمع من كل انحراف سلوكي فهي توجه الفرد دائما إلى ما هو خير.

➤ **الإنتماء:** الستر كقيمة اجتماعية يعكس الحياء الذي يساعد على تعزيز الهوية الجماعية والفردية ويساعد على تحقيق الاستقرار الاجتماعي ولهذا قال رسول الله صلى عليه وسلم بأن الحياء كله خير عن عمران بن حصين، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الحياء لا يأتي إلا بخير" متفق عليه، وفي رواية لمسلم: "الحياء خير كله" أو قال: "الحياء كله خير". (أبو زكريا،

(1998)، وهذا الانتماء الذي يعبر عن الهوية الثقافية والحضارية، وهذا ما يميز الأمم عن بعضها البعض حيث "تعتبر الهوية الحضارية أساساً لشخصية الأمة وعاملاً مساعداً على الاستقلال وعدم الذوبان في الحضارات الأخرى" (بوفولة، 1986).

➤ **التوازن بين الفرد والمجتمع:** الفطرة توازن بين احتياجات الفرد الشخصية (مثل الحرية) واحتياجات المجتمع للحفاظ على النظام الأخلاقي، والستر يعطي للفرد أكثر حرية فالمرأة مثلاً كلما كانت ساترة لجسدها كلما قلت المضايقات والمعاكسات عليها وبالتالي تكون أكثر حرية عندما تكون في الشارع لقضاء حاجياتها، كما أن الستر يعطي للفرد خاصة المرأة أكثر حرية للتحرك في الشارع دون معاكسات ومضايقات من الآخرين.

➤ **الذي يقر التوازن الأخلاقي للمجتمع** ومالك بن نبي في كتابه شروط النهضة يقر بهذا ويذهب أبعد من ذلك حيث يعتبره روح المجتمع الخاصة به، ولهذا فاللباس يعطي صورة عن صاحبه ويثبت فيه الروح، فالقميص يسهم في تكوين القسيس واللباس الرياضي يعطي لمن يلبسه حيوية الرياضي (نبي، 2007)

2.3. الجسد العابد والجسد التارك للعبادة

1.2.3. الجسد العابد

الغاية من وجود الإنسان هو تحقيق العبودية قال تعالى: "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" الذاريات: 56، ولهذا فإن الجسد العابد هو ذلك الجسد يحقق الغاية الأساسية من خلق الإنسان وهي العبودية بتجلياتها الدينية وأبعادها الاجتماعية، فالعبادة في الإسلام ليست تلك الشعائر فقط بل هي عبارة عن عمل صالح متكامل بين عمل ديني شعائري، وكوني واجتماعي "لذلك لا يتصور هناك مسلم أو -إنسان صالح- بدون عمل، فصورة المؤمن المتنسك العاجز صورة غير إسلامية، وهي بعض روااسب تراث الكهانة، التي سبقت الإسلام" (ماجد، 1991).

فالجسد العابد جسد نشط لأن العبادات في الإسلام أغلبها عبادات حركية، فالصلاة مجموعة من الحركات، بالإضافة أنها تبدأ بالطهارة وهي تساعد الجسد على تنشيط دورته الدموية وكذلك ما يعود بذلك على صحة الفرد لأن النظافة لها تأثير مباشر على الصحة. وهذه الصلوات موزعة على كامل اليوم بالإضافة إلى صلوات النوافل، الصيام صحة للجسد، الحجة نشاط، الزكاة تستلزم العمل والنشاط حتى يكون لك المال، هذا في شق العبادات الشعائرية.

2.2.3. الجسد التارك للعبادة:

ترك العبادة هو الانحراف والحيد عن الغاية التي خُلق من أجلها الانسان، مما ينعكس على حالته النفسية والروحية والجسدية ، لأن الوظيفة الأساسية له ليس الانغماس في الملذات أو الغفلة، بل تحقيق التوازن بين الجسد عبر العبادة والطاعة، لأن الجسد الذي يهمل ويترك العبادة هو جسد مثقل بالشهوات، مستغرق في ملذات الدنيا، وهذا ما يفقده السكينة ويصير من أبرز صفاته:

➤ **الضعف الروحي والفراغ الداخلي:** عندما يُهمل الانسان العبادات فإنّه يُضعف صلته بالله، مما يجعله فاقد للطمأنينة والاستقرار، حتى ولو كان يعيش في رغد من الحياة، وهذا ينعكس سلبا على الحياة الاجتماعية.

➤ **الانغماس في الشهوات والمتع الزائلة:** الجسد التارك للعبادة غالبا ما يكون مستغرقا في الملذات الدنيوية دون أن يجعل لنفسه قيد؛ سواء كانت ملذات حسية كالأكل المفرط، اللهو والترفيه المترف، أو ملذات معنوية، كالسعي وراء الشهرة والجاه دون اعتبار للأخلاق.

3.2.3 آثار ترك العبادة على الجسد:

- **الكسل والخمول:** العبادة تمنح النشاط الروحي والجسدي، وتركها يؤدي إلى التكاسل.
- **التعب والقلق:** الغافل يزداد قلقا رغم أنه يريد أن يظهر على بمظهر السعادة من خلال انغماسه في الملذات، ولكن بالرغم ذلك يظهر القلق عنده من خلال المستويات التالية:
- **المستوى الجسدي:** حيث يظهر على شكل أعراض جسدية متنوعة منها الصداع والتوتر العضلي واضطرابات الدورة الشهرية عند المرأة، وآلام المعدة والظهر وفقدان الشهية أو فرطها.
- **المستوى السلوكي :** حيث يتبدل سلوك المعني بدرجات مختلفة وحسب نوع القلق، على نحو تجنب المواقف المسببة للخوف، وعدم الخروج خارج من المنزل إلا برفقة أحد الأشخاص، واتخاذ احتياطات واجراءات متنوعة والقيام ببعض الطقوس (فوزية، 2004)

3.3 الجسد الطاهر والجسد النجس:

1.3.3 الجسد الطاهر:

سوسيولوجيا الجسد لا تنظر الى الجسد ككيان بيولوجي فقط؛ بل كحامل للمعاني والقيم الاجتماعية والثقافية والدينية، ومن بين هذه القيم قيمة الطهارة التي لا تعتبر في المقاربة الإسلامية مجرد طقس ديني، بل قيمة ورمز اجتماعي وثقافي يعكس علاقة الفرد بجسده وعلاقة الفرد بالمجتمع، ومن هذا منطلق يمكن الإشارة إلى الجسد الطاهر من خلال ثلاث محاور رئيسية:

➤ **الجسد حامل للرموز الدينية ومعبر عن الطقوس التعبدية:** الطهارة الجسدية ليست مجرد نظافة مادية؛ بل تحمل أبعادا روحية واجتماعية ومجالا للانصياع للأوامر

الربانيّة، ولهذا ربط الله التوبة بالطهارة قال تعالى: " إِنْ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ" البقرة 222، الطهارة بالإضافة أنها أحد الطقوس الدينيّة فهي طقس اجتماعي يعبر عن الانتماء للهويّة الإسلامية.

➤ الجسد الطاهر كوسيلة للاندماج الاجتماعي والضبط السلوكي: التزام الإنسان العابد بالطهارة البدنية الوضوء خمس مرات في اليوم، الغسل من الجنابة والغسل كل جمعة هو انضباط والتزام الفرد بالقيم الدينيّة وضبط للسلوك الفردي الذي يساهم في الحفاظ على الصحة العامة للمجتمع التي تبنى على الطهارة والنظافة، ولهذا يمكن القول ان الطهارة ليس مجرد عملية تنظيف بقدر ما هي أداة اجتماعيّة تُستخدم لضبط السلوك وتحديد الهويّة الاجتماعيّة للأفراد داخل المجتمع الإسلامي.

➤ الجسد الطاهر مصدر للهويّة الدينيّة والانتماء الثقافي: الجسد الطاهر هو تمثيل مادي للهويّة الدينيّة الإسلامية، حيث يعكس ذلك الالتزام اليومي بهذه القيم الإسلامية، الفرد المسلم يضبط ايقاع حياته اليوميّة على الوضوء خمس مرات في اليوم وهذا ما يعزز الانتماء لديه لهذا المجتمع والدين الإسلامي.

2.3.3 الجسد النجس:

الخروج عن معايير الطهارة الجسدية قد يُنظر إليه على أنّه خروج عن الجماعة؛ جاء في مسند أحمد والسنن الأربع بإسناد صحيح عن بريدة بن حصيب أن النبي ﷺ قال: "العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها؛ فقد كفر" (عبد العزيز)؛ وهذا ما يؤدي إلى الشعور بالاغتراب أو فرض عقوبات معنوية أو رمزية ذات بعد اجتماعي، فالطهارة ليست مجرد إجراء شخصي بل هي جزء من منظومة تهدف إلى تشكيل الفرد وفقا للقيم الاجتماعية السائدة في المجتمع المسلم ، ولهذا فعدم الالتزام بها مؤشّر على عدم الانضباط والالتزام بالنظام الاجتماعي والأخلاقي السائد .

استعمال كلمة النجس وهي كلمة مقززة للنفس الطاهرة وقد تلحق مايقول ارفنج غوفمان وصمة للفرد، مما يجعله موضع نبذ في المجتمع .

4.3 الجسد السليم والجسد المريض:

1.4.3 الجسد السليم:

يعتبر الجسد السليم أداة لتحقيق الغاية الوجودية للإنسان ؛ لأنه الجسد القادر على العمل والعبادات وجميع المهام اليوميّة، الصحة لها ارتباط بالكفاءة والنجاح، مما يجعلها قيمة أساسيّة في السياق الإسلامي، ولهذا فهي نعم تستوجب الشكر.

الجسم السليم هو أداة لتحقيق الذات، وأيضا وسيلة لتحقيق الوجود الاجتماعي للفرد، فالصحة لها ارتباط بالأداء والفعالية في جميع الأنشطة اليومية، الصحة صحيح هي حالة بيولوجية بالمنظور العلمي البيولوجي، ولكنها تتعدى ذلك من المنظور السوسيولوجي فهي مفهوم سوسيولوجي يعكس تصورات المجتمع حول العمل، الفاعلية والمسؤولية الاجتماعية والفردية.

2.4.3 الجسد المريض:

الجسد المريض في الاسلام يستدعي التكافل والتضامن من طرف الأسرة والمجتمع، ولهذا حث على ما يسمى بعبادة المريض، وهذه عبادة ذات بعد اجتماعي توطد الروابط الاجتماعية، وتعيد توزيع الأدوار داخل الأبنية الاجتماعية، فالمريض في المقاربة الإسلامية لا يُهمش بل يصبح موضع رعاية وعناية، هذا التأطير الديني يعيد تشكيل تجربة المرض بحيث لا يُنظر إليه كضعف أو عقوبة، بل كفرصة للنمو الروحي والاجتماعي، كما أن هذا المنظور يُقلل من وصمة المرض ويشجع على دعمه اجتماعيًا بدلاً من نبذه.

ولهذا يمكن القول أنه لا يُنظر إلى المرض على أنه مجرد عائق بيولوجي، بل هو ظاهرة اجتماعية تُعيد تشكيل العلاقات داخل المجتمع، حيث يؤدي إلى تغيير أدوار الأفراد، سواء من حيث مسؤولياتهم تجاه أنفسهم أو تجاه الآخرين.

كما أن المنظور الإسلامي للمرض بوصفه ابتلاءً يهدف إلى التطهير والتكفير عن الذنوب، يُسهم في تخفيف آثاره النفسية والاجتماعية، ويُعزز ثقافة التضامن والرحمة بين أفراد المجتمع. وبذلك، يتضح أن الجسد—سواء في حالتي الصحة أو المرض—ليس مجرد كيان مادي، بل هو محور أساسي في تشكيل الفاعلية الاجتماعية، الأخلاقية، والروحية، مما يجعل الاهتمام به مسؤولية متكاملة تجمع بين البعد الديني والبعد الاجتماعي.

4 - نتائج الدراسة:

➤ الجسد ليس ملكية فردية مطلقة: في السياق الديني، يُنظر إلى الجسد كأمانة من عند الله، وليس ملكاً شخصياً خالصاً، ما يفرض على الفرد مسؤولية أخلاقية وروحية في التعامل معه (الغذاء، اللباس، الزينة، السلوك...).

➤ الجسد كوسيط للعبادة والطاعة: المقاربة السوسيو دينية ترى أن الجسد يُستخدم كوسيلة للتقرب من الله (مثل الصلاة، الصيام، الطهارة...)، ما يمنحه رمزية روحية ويُخرجه من كونه مجرد كيان مادي.

- الجسد كمجال للضبط الاجتماعي والديني: يُخضع الجسد لمجموعة من القواعد والضوابط الشرعية (مثل الحجاب، حدود العورة، الصيام عن الشهوات)، ما يجعله خاضعاً لرقابة رمزية دينية واجتماعية تُنظّم سلوك الأفراد وتوجهه.
- الجسد حامل للهوية الدينية والاجتماعية: من خلال المظهر (اللباس، اللحية، الحجاب، الزينة...) يتجلى الانتماء الديني والثقافي، مما يجعل الجسد أداة للتعبير عن الهوية والانتماء داخل الجماعة.
- الجسد مجال للصراع بين المقدس والدنيوي: في المجتمعات الحديثة، تظهر توترات بين قيم دينية تحث على ستر الجسد وضبطه، وبين قيم حديثة تُشجع على كشفه واستعراضه (ثقافة الجسد، الموضة، وسائل التواصل...). وهنا يتجلى الصراع بين المرجعيات الدينية والاجتماعية الحديثة.
- الجسد وسؤال الطهارة والنجاسة: يتجسد في المقاربة الدينية تصور خاص للجسد من حيث الطهارة والنجاسة، ما يؤثر في الممارسات اليومية للفرد (الوضوء، الغسل، الحيض، الجنابة...).
- الجسد في مراحل الحياة تحت إشراف ديني واجتماعي: من الولادة إلى الموت، يمر الجسد بمحطات تنظمها طقوس دينية واجتماعية (الختان، الزواج، الجنائز...)، مما يعكس تصوراً تكاملياً للجسد في دورة الحياة.
- الجسد يعبر عن أصالة المجتمع: الجسد هو تجسيد لهوية حضارية وثقافية وبالتالي يعبر عن الأصالة

الخاتمة:

في المقاربة الإسلامية يتجاوز مفهوم الجسد كونه مجرد كيان بيولوجي ليصبح عنصراً فاعلاً في تحقيق الغاية الوجودية للإنسان، سواء من خلال الصحة التي تعزز الكفاءة والنجاح، أو من خلال المرض الذي يعيد تشكيل الأدوار الاجتماعية ويُعزّز قيم التكافل والتضامن. فالصحة ليست فقط شرطاً لأداء العبادات والمهام اليومية، بل تُعدّ رمزاً للفاعلية الاجتماعية والنجاح، مما يجعلها مسؤولية فردية وجماعية في آن واحد.

في المقابل، لا يُنظر إلى المرض على أنه مجرد عائق بيولوجي، بل هو ظاهرة اجتماعية تُعيد تشكيل العلاقات داخل المجتمع، حيث يؤدي إلى تغيير أدوار الأفراد، سواء من حيث مسؤولياتهم تجاه أنفسهم أو تجاه الآخرين، كما أن المنظور الإسلامي للمرض بوصفه ابتلاءً يهدف إلى التطهير والتكفير عن

الذنوب، يُسهم في تخفيف آثاره النفسية والاجتماعية، ويُعزز ثقافة التضامن والرحمة بين أفراد المجتمع.

وبذلك، يتضح أن الجسد—سواء في حالتي الصحة أو المرض—ليس مجرد كيان مادي، بل هو محور أساسي في تشكيل الفاعلية الاجتماعية، الأخلاقية، والروحية، مما يجعل الاهتمام به مسؤولية متكاملة تجمع بين البعد الديني والبعد الاجتماعي.

المراجع:

1. بن أحمد الفراهيدي الخليل. (2003). *كتاب العين ج 01*. (هنداوي عبد الحميد، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.
2. بن باز عبد العزيز. (بلا تاريخ). *الموقع الرسمي للشيخ عبد العزيز بن باز*. تاريخ الاسترداد 16 02, 2025، من <https://2u.pw/S9VMAqTw>
3. بن فارس أحمد. (1972). *مقاييس اللغة المجلد الأول*. (محمد هارون عبد السلام، المحرر) بيروت: دار الجيل.
4. بوعون فوزية. (15 02, 2004). التكنولوجيا الرقمية وعلاقتها بظهور القلق النفسي والسلوك العدواني لدى المراهقين. *مجلة دراسات في سيكولوجية الانحراف*، 156-175.
5. بوفلجة، غ. (1986). *الهوية الحضارية والتنمية*. باتنة: دار الشهاب للطباعة والنشر.
6. تباري خديجة . (20 2, 2013). سوسيولوجيا الجسد عند بيير بورديو – الجسد والرياضة وسلطة الهابيتوس. *سلسلة الأنوار*، 13 (1)، 358-373.
7. الجرجاني الشريف. (2013). *كتاب التعريفات*. القاهرة: المكتبة التوفيقية.
8. حسين سوزنجي. (4 جانفي، 2022). *الفطرة بوصفها نظرية أنثروبولوجية*. *الاستغراب* (26)، 42/18.
9. الزاهي، ف. (7 3, 2024). *الجسد ودلالاته – حوار مع دافيد لوبروتون* Consulté le 4 17, 2025, sur <https://mana.net/le-breton/>
10. زعيبي مراد. (2004). *علم الاجتماع - رؤية نقدية -*. قسنطينة: مخبر علم اجتماع الاتصال جامعة منتوري.
11. زعيبي مراد. (2011). *علم الاجتماع والمرجعية الإسلامية*. المحمدية - الجزائر: دار قرطبة للنشر والتوزيع.
12. شلنج كرس. (2009). *الجسد والنظرية الاجتماعية*. (البحر مني، و الحصادي نجيب، المحررون) أبو ظبي: دار العين للنشر.
13. طريف الخولي يُمنى. (2017). *نحو منهجية علمية إسلامية -توطين العلم في ثقافتنا -*. بيروت: المؤسسة العربية للفكر والابداع.
14. عرسان الكيلاني ماجد. (1991). *مقومات الشخصية المسلمة أو الإنسان الصالح*. الدوحة: مطبوعات كتاب الأمة.
15. مالك بن نبي. (20017). *شروط النهضة*. ك. م. عمر & ش. عبد الصبور (Trads.) الجزائر: دار بن مرابط.
16. النووي أبو زكريا. (1998). *رياض الصالحين*. (الأرنؤوط شعيب، المحرر) بيروت: مؤسسة الرسالة.